المارشال بلسودسكي

منشىء بولونيا الجديدة

[جاء في انباء بولونيا البرقية ان مجلس نوابها قد وافق على مشروع القانون الخاص بتعديل دستورها باكثرية ٢٦٠ صوتاً على ١٣٩ . وقد خول رئيس الجمهورية بمقتضى التعديل الجديد سلطة عظيمة . منها حق تعيين الوزراء وقائد الجيش العام ورئيس المحكمة العليا وحق عزلهم ، وحق تعيين ثلث مجلس الشيوخ اي ٤٠ عضواً من ١٢٠ ، وحق دعوة البرلمان وفضه ، وحق مفاوضة الدول في المعاهدات الخارجية وامضائها وتقرير السلم وشهر الحرب . والرابح ان المارشال بلسودسكي يرضى الآن ان ينتخب للرآسة فتعرض ذلك قبلا (سنة ١٩٢٦) محتجاً بضعف سلطة الرئيس]

لسنا نتوقع عادةً ان تكون حياة السياسي حافلة بألوان المغامرة والحوادث ، كأنها منتزعة من صفحات قصة رومانطيقية . ولكن حياة المارشال بلسودسكي من هذا القبيل . فقد قضى خمس سنوات من حياته منفيًّا في سيبيريا . وسجن في امنع السجون وأشدها احكاماً ، في مرسوفيا (وارسو عاصمة بولونيا) ولم ينجو منهُ الاَّ باصطناعه الجنون . وانشأ صحيفة ثورية سرية (روبتونيك) اي العامل) كانت امرأته تغني في خلال طبعها حتى لا يسمع البوليس صوت الآلة الطابعة وهديرها وكان هو يحررها ويطبعها ويوزعها . وحارب في خلال الحرب الكبرى في جانب الدول المركزية (المانيا وحلفائها) اولاً ثم انقلب عليها وحاربها وقبض عليه الالمان واعتقلوه في حصن منيع . ثم انهُ في فترة من حياته اشتغل بالتشرد وقطع الطرق في سبيل استقلال بولونيا ؟

***

لبولونيا تاريخ قومي مجيد حافل بآثار الادب والفن والعلم ، ولكنها بلاد مشؤومة لوقوعها بين ثلاث امبراطوريات عظيمة ، فكانت تتقاذفها وتتشاطرها . هذه الامبراطوريات هي المانيا والنمسا وروسيا . وقد شطرت غير مرة ، فجزء اخذته المانيا وآخر روسيا وآخر النمسا . فظهور بولونيا الآن يظهر الامة الموحدة المستقلة درس يلقيه علينا التاريخ ، بأن الشعور القومي في امة ما لا يمكن ان تخمده بالضغط والظلم بل هو كالشعور الديني يتقد ويقوى في ظلال الارهاق والاستعباد

***

ولد يوسف بلسودسكي (سنة ١٨٦٧ في الجانب الروسي من بولونيا) ونشأ في جو حافل بأحاديث استبداد الروسيين وبطشهم في محاولتهم خنق كل صوت بولوني حر واخماد شعور

الاستقلال الذي يعمر صدور البولونيين . وكان قد مضى على بولونيا نحو قرن وهي مقسمة مجزأة ولكن القرن كان غير كاف لاخماد الشعور القومي . وكانت والدة بلسودسكي ، واحدة من الامهات اللواتي كنّ يترأنّ لابنائهنّ ، او يقصصنّ عليهم ، حكايات وأشعاراً تنطوي على عظمة بلادها التالدة وأمجادها العجيبة

***

كان بلسودسكي في العشرين من عمره لما حوكم بتهمة اشتراكه في دسيسة ضد القيصر فحكم عليه بالنفي الى سيبيريا مع ان المحاكمة اثبتت براءته واعراضه عن وسائل الارهاب

في سيبيريا ، جمع بلسودسكي أفكاره ونظمها ، وكان معظم المسجونين الآخرين من الاشتراكيين الروس ، فأصبح اشتراكيًّا ، ولكن من نوع خاص . اصبح اشتراكيًّا كوسوليني ، يستعمل الحزب ، لانهُ حزب ثوري لغايته أي ليفوز باستقلال بلاده . وفي سنة ١٨٩٢ ، عاد من المنفى فأنشأ الحزب البولوني الاشتراكي وأسس جريدة تدعى « الروبوتنك » — وهي الآن اكبر جريدة اشتراكية في بولونيا — ولا يخفى ان تحرير جريدة ليس عادة بالعمل الخالي بالخطر والمغامرة ، ولكنهُ يصبح كذلك إذ اضطر أن يخفي مطبعتك الصغيرة في خزانة ، وان تهرّب كل نسخة تهريباً لان اكتشافها يفضي الى السجن . وكان بلسودسكي وزوجته يشفيان نحو سبوع في طبع ٢٠٠٠ نسخة منها لصغر الآلة الطابعة ، ومع ذلك نقل رجال البوليس يبحثون عن مطبعتها في مدينة لودز ، سبع مرات قبلما اكتشفوها ، فسجن بلسودسكي ثانية . وجاء بعده من أصدر عددين منها في لندن ولكن زعيم الحركة كان في السجن ، بل في امنع السجون

في هذا السجن اصطنع بلسودسكي الجنون لكي ينقل الى مكان آخر يستطيع ان يفرّ منهُ . ولكن حكام السجن وولاة الامر لم ينقلوه الى مستشفى الامراض العقلية ، حتى كاد تصنع الجنون ان يصبح حقيقة واقعة ، فنقل الى مستشفى في العاصمة الروسية — بطرسبرج — فهد لهُ احد الاطباء سبيل الفرار لابساً بدلة عادية . ثم تزيّ بزي موظف جارك روسي وفر من بطرسبرج ، فجاء الى لندن وقطن في الحي الذي يكثر فيه الثوار الروس والبولونيون ، وكانت لندن حينئذٍ مباءة لهم ، بعد ما رفضت كل بلاد أوربية ان تؤويهم ، وكان غرضهم جميعاً ثل العرش الروسي . فلما نشبت الحرب الروسية اليابانية سافر بلسودسكي الى طوكيو عاصمة اليابان لكي يقنع اليابانيين بمنحه الاعتمادات اللازمة لانشاء فرقة بولونية للمحاربة في صفوف اليابانيين . وكان نجاحه مؤكداً لولا أن زعيماً آخر يدعى دمفسكي لم يسبقه الى اليابان ، وكان دمفسكي لا يعتقد ان استقلال بلاده ينال بالقوة والثورة بل بالحجة والعقل . وخيبته هذه وسعت شقة الخلاف بين هذين الفريقين من البولونيين ، وكانت مصدر حيرة واضطراب لما استقلت البلاد بعد الحرب الكبرى

فقال بلسودسكي في نفسه : إذا لم أستطع ان اكون زعيماً حربيًّا فلا كونّ قاطع طريق فجعل

يغشى العصابات في بولونيا الروسية لاطلاق سراح المسجونين بالقوة ، ومهاجمة الموظفين وسرقة البريد لكي ينفق ما يسرقه في سبيل القضية البولونية ، وقد فازت احدى عصاباته مرة بسرقة ما قيمته ثلاثة ملايين روبل

ولكن هذه الفترة في حياته كانت قصيرة ، لانهُ أدرك ، ان العصابات لا تحدث الاثر المطلوب ، فقال اذا كانت اليابان لا تساعده على انشاء فرقة حربية بولونية فقد تساعده دولة اخرى فتتحول الى العداء ، فكيف وحالها ما يريد وكلا الفريقين يضمر عداءهُ للآخر ، ولما أعلنت الحرب العامة خاض غمارها ضد روسيا في جانب المانيا والنمسا ، خاض غمارها وهو يعلم حق العلم ، انه لابد ان ينقلب يوماً ما عليهما ، اذا كسرتا روسيا فيحارب النمسا نفسها ، لان كليهما عدو لاستقلال بولونيا . ولما انقلب فعلاً بعد خروج روسيا من ميدان الحرب سنة ١٩١٧ الى الالمان القبض عليهِ ، وسجنوه في حصن منيع في مجدبرج ، فلما انهارت الامبرطورية الالمانية اطلق الثوار الالمان سراحه وعاد الى بلاده بطلا كالابطال فخرج مائة ألف بولوني الى استقباله في محطة فرسوفيا في ٤ نوفمبر ١٩١٨ . واستقال مجلس الوصاية الذي انشأه الالمان ورضيت السلطات العسكرية ان تخضع لزعامته فنصب سلطة دكتاتورية وانتخب بالاجماع رئيساً للدولة وعينه الجيش مارشال بولونيا الاول

***

وما لبث بلسودسكي ان رأى بولونيا مشتبكة في حرب مع روسيا الحمراء ، وفي نزاعات بين رجال السياسة فيها وكان بعضهم يضن على بلسودسكي بالفضل الذي يحق له ، فجمع جيشاً وسار به نحو « كيف » في أوكرانيا ، ولكن الجيوش الروسية ارتدت اليه بعد ما تغلبت على كولشاك ودنيكين وما زالت تتوغل في بولونيا حتى اصبحت على ميل او ميلين من عاصمتها . اما بلسودسكي فتراجع الى عاصمته ، وجمع فلول الجيش البولوني بعد تداعيه ، ووجه الامة ، ودحر بهم الجيش الروسي في معركة وارسو التي تحسب من العجائب ، وكذلك انتهت الحرب مع روسيا وعقد الصلح في مدينة ريغا سنة ١٩٢١

بعد ذلك اعتزل بلسودسكي الحياة العامة فترة قصيرة من الزمن ولكن البرلمان البولوني ، ظل يضيع الوقت في الامور التافهة ، فوصفه المارشال ، وصفاً بديعاً اذ قال انهُ « كالقاطرة التي تحاول ان تجر قشة » . وفي سنة ١٩٢٦ زحف على العاصمة ، وطرد الرئيس — وكان هذا الرئيس في يوم من الايام زميله في تحرير الجريدة الثورية السرية — وتقلد منصب وزير الحربية ، رافضاً ان ينتخب رئيساً للجمهورية ، بل انهُ انتخب ورفض لان سلطة الرئيس محدودة

***

وهو يقيم الآن في قصر بلفدير ، وليس لهُ أي نصيب في الحكم الا من وراء ستار . ولكن العيون تتجه اليه في الملمات لانهُ الرجل الذي لم يساوم ضميره في أي شيء يتعلق باستقلال بولونيا